

بسم الله الرحمن الرحيم

تربية الأولاد إصدار 1994 - الدرس : 16 - التربية الإجتماعية -3- بر الوالدين

07-08-1994

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في مسؤولية الآباء عن تربية أولادهم التربية الاجتماعية.

### على المربي أن يغرس في أبنائه مراعاة الحقوق الأساسية:

اليوم ننتقل إلى موضوع جديد، وهو أنّ الأب أو المربي مكلف أن يعرف أبنائه أو تلاميذه الحقوق الأساسية التي عليهم أن يرعوها، من أولى هذه الحقوق: حقّ الأبوين، وحقّ الأرحام، وحقّ المعلم، وحقّ الرفيق، وحقّ الكبير.

كنا في الدروس الماضية نتحدّث بشكل عام عن وسائل التربية الاجتماعية، ولكننا اليوم ندخل في موضوع خاص، أي أنّ المربي ينبغي أن يعلم وأن يربي وأن يغرس في نفس تلميذه أو في نفس ابنه إذا كان أباً، أن يغرس فيهم مراعاة هذه الحقوق الأساسية، وقبل أن أخوض في تفاصيل هذا الموضوع، أريد أن أفقّ وقفةً قصيرة عند سؤالٍ طرح عليّ قبل يومين حول فلسفة التربية، نحن لماذا نربي أبنائنا؟ السؤال الأوّل هو أنّ الإنسان في الأصل يتعلّم ذاتياً، ولكن إذا تركنا الإنسان يتعلّم ذاتياً ماذا يحصل؟ قد يمضي كلّ حياته وكلّ عمره دون أن يصل إلى الحقيقة الكاملة يصل إلى بعضها، وأحياناً ترى شخصاً وهو في السبعين من عمره أو في الثمانين أو في الستين يقول لك: الآن عرفت، عرفت أنّ المال ليس كلّ شيء في الحياة، عرفت أنّ المرأة ليست كلّ شيء في الحياة، متى عرفت ذلك؟ بعد فوات الأوان.

الإنسان أحياناً عن طريق التجربة قد يعرف الحقيقة، أو لا يعرفها، أو قد يعرف بعضها، وأحياناً يعرف الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان، وأحياناً لا يبقى في حياته ثانية يستفيد من هذه الحقيقة التي عرفها. لذلك كانت التربية، التربية يلقن هذا المربي أو هذا التلميذ أو هذا الابن تجارب الأمم السابقة، هذه

التربية العادية، لكنّ التربية الإسلاميّة يلقّن هذا المرَبّي الحقائق القطعيّة الصحيحة التي وردت من عند خالق الكون.

### العلم التجريبيّ قاصر يصيب ويخطئ:

مثلاً قبل حين كان الأطباء يقولون: إنّ زيت الزيتون يسهم في رفع نسب الكوليسترول في الدّم، ويرفع أيضاً نسب الشحوم الثلاثيّة، وقد ينصحون النَّاس بعدم الإكثار من زيت الزيتون، الآن في السنتين الأخيرتين ثبت لدى الأطباء أنّ زيت الزيتون هو الذي يحافظ على مرونة الأوعية والشرايين وهو الذي يساهم في نقاء هذه الأوعية من الترسّبات، مرّة يقولون: افعلوا، ومرّة: لا تفعلوا، هذا هو العلم التجريبيّ يصيب ويخطئ.

أما النبيّ الكريم فيقول:

### ((كلوا الزيت وادهنوا به.))

[الترمذي عن عمر بن الخطاب]

لا ينطق عن الهوى، هذا الكلام ليس عن تجربة، هذا عن وحي لا ينطق عن الهوى، فالعلم أحياناً يقَدّم لك شيئاً ثمّ يكتشف أنّه خطأ، إنّ هذه المادّة مسرطنة، أحياناً يقول لك: لا بدّ لك من أن تشرب عصير الفاكهة، ثمّ يقول لك: لا ، حينما لا تأكل السيلولوز الذي في الفواكه فإنّ هناك أخطاراً كبيرة تصيب الجهاز الهضمي، فلا بدّ من هذه المادّة السيلولوزيّة التي تمتص الشحوم والدهون وتعين على حركة الأمعاء وتقلل بقاء الطعام في الأمعاء، وكلّ إنسانٍ لا يأكل في اليوم كذا غرام من السيلولوز فهو مهدد بأمراض وبيلة تصيب الأمعاء.

مرّة كلوا ومرّة لا تأكلوا، مرّة عصير ومرّة فواكه حقيقيّة، مرّة دعوا زيت الزيتون ومرّة كلوا زيت الزيتون، هذا التناقض ماذا يعني ؟

يعني أن العلم التجريبيّ قاصر، العلم التجريبيّ قاصر، لكن إذا قلنا أنّ الإنسان يتعلّم ذاتيّاً، فهذا كلام صحيح إلى حدّ ما لأنّه لا يوجد في الحياة من لا تجارب له، ويقول لك: هذه لن أعيدها، وهذه تلقّيت درساً لا ينسى، لكن هذه الدروس التي يتلقّاها الإنسان من خلال التجارب والممارسات، هذا الدروس لا تكفي، أولاً هي دروسٌ عشوائيّة وخاضعة للصدف، قد تجدي وقد لا تجدي، لكنك إذا تلقّيت خبرة الأجيال السابقة عن طريق التربية العادية الطبيعيّة معنى ذلك أنّك أضفت إلى خبراتك خبرة ألف عام. مثل بسيط، لو أردنا أن ننشئ معملاً للطائرات، من أين نبدأ ؟ هل نبدأ من تجربة العباس بن فرناس، أم من تجربة أحدث طائرة مصنوعة الآن ؟ هذه الطائرة التي صنعت حديثاً فيها خبرات مئة سنة أو مئتي

سنة، كلُّ المشكلات قد حُلَّت، فنحن إذا أردنا أن نبني طائرة الآن نستقدم هذه الخبرات الجاهزة، ونضيف عليها، أمّا أن نبدأ من الصفر فهذا عمل أحمق.

### علّة التربية أنّها تنقل للأجيال الحاضرة خبرات الأجيال الماضية:

ذكر لي أخ كريم كان في جامعة، فقّمت خمس موضوعات لأطروحة الماجستير، هو يرى أنّ هذه الموضوعات فريدة ولم يسبق إليها، هذه الموضوعات أدخلت في الحاسوب فجاء الجواب على الشاشة: كلّها مطروقة، ابحث عن غيرها، وهذا شيء لطيف جداً أن تكون كلّ الجامعات مرتبطة بحواسيب بحيث أنّ كلّ الأطروحات التي يختارها الطلاب تدخل في الحاسوب بحيث أنّ الطالب إذا أراد بحث موضوع لا يبذل جهداً غير مُجدٍ، هذا الموضوع درس، ابحث عن موضوع جديد، بل إنّ هناك من أخبرني أنّ بعض الجامعات تقول لك إنّ هذا البحث قد درس ووصل إلى هذا المكان، فإذا كنت مصراً على هذا الموضوع فمن هنا ابدأ، وتابع من هنا، بهذه الطريقة تنمو العلوم بشكل سريع جداً.

الإنسان عندما يأخذ خبرات الآخرين معنى ذلك أنّه يتقدّم سريعاً هذه هي علّة التربية، علّة وجودها، أنّها تنقل للأجيال الحاضرة خبرات الأجيال الماضية.

بكل فرع، مثلاً باللغة العربيّة أين وصل علم النحو؟ وصل إلى مستوى رفيع جداً، وهذه كلّها خبرات الأجيال السابقة، نعلم الطلاب النحو والصرف والبلاغة والعروض والشعر والنثر في الآداب، في الطبّ كذلك، وفي الفيزياء والكيمياء، وفي الفلك والرياضيات، هذه هي التربية، التربية أن تقدّم خبرات مكثّفة للإنسان مبتدئ.

لا زلت أفرّق بين التربية العاديّة، والتربية الإسلاميّة، التربية الإسلاميّة فيها وحي، ومعنى وحي أي أنّه من عند الخالق، فأنت أحضر آلة معقّدة وقم بفكّها، وحاول أن تفهم طريقة بنائها وطريقة عملها، تجدك تخطئ وتصيب، هذا هو العلم التجريبيّ، لكنك إذا التقيت بمخترعها ومصممها، أعطاك نشرة أنّه صممها هكذا، وكلّ قطعة في هذه الآلة هذه وظيفتها، هذا العلم الذي تأخذه من صانع الآلة علم قطعي لأنّه علم المصمم، علم الصانع.

يا أخي الكريم، أنت إذا أردت أن تربي ابنك تربيةً إسلاميّة فمعنى ذلك أنّك لقتنه المنهج الذي من عند الخالق، أنت الآن تضمن لهذا الابن السلامة في كلّ المجالات، والنقطة الدقيقة وأنا ألحّ عليها أنّك إذا نفّذت أمر الله تقطف ثماره ولو لم تعرف وجه عظمته، والدليل سهل جداً، ممكن للإنسان أن يركب أرقى سيارة ويستفيد من كلّ ميزاتها وهو لا يعلم كيف تعمل، ممكن أن تستفيد من مكيف ولا تعلم كيف يعمل، ممكن أن تستفيد من حاسوب ولا تعلم كيف يعمل، فالانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به.

نحن عندما نربّي أبناءنا على تطبيق المنهج الإسلامي فلو أنّ هذا الابن طَبّق المنهج فقد أخذ كلّ ثمراته، علم وجه عظّمته أو لم يعلم، أدرك أو لم يدرك، وضع يده على دقائقه أو لم يضع، أُصدق فالصادق يقطف ثمار صدقه، كن مخلصاً فالمخلص يقطف ثمار إخلاصه، كن أميناً فالأمين يقطف ثمار أمانته، غَضَّ بصرك فإن غاضَّ البصر يقطف ثمار غَضِّ بصره.

### خبرات الأجنب كلّها مادّية قيمهم مادّية وأساسها القوي يأكل الضعيف:

لنفَرّق بين إنسانٍ يتعلّم ذاتياً، فقد ضربت مثلاً لأحد أخواننا كان عندي في البيت قبل قليل، أنّ شخصاً رأى قنبلة، فتساءل في نفسه هل يا ترى هذه قنبلة أم ليست قنبلة؟ فإن كانت قنبلة فهل يا ترى منزوعة الفتيل أم غير منزوعة الفتيل؟ فأراد أن يكشف الحقيقة بنفسه فاقترّب منها وأمسكها وحركها، فانفجرت، ففي أقلّ من عشر الثانية يدرك أنّها قنبلة ولكن لم تُبق له الحياة ثانية واحدة ليستفيد من هذا الدرس. أحياناً الإنسان يسقط في المخدّرات، وبعد ما سقط لا يوجد عنده مجال أن يخرج منها، يتألّم ويصبح مقهوراً ولكن قد انتهى الأمر، أحياناً يسقط في الخمر، أو يسقط في الزنا، فقد انتهى وهو يرتكب هذه المعصية ويذوب من شدّة الألم، لكنّه قد أدمن عليها، ولكن انتهى الأمر، فالمشكلة أنّ الإنسان لو تعلّم ذاتياً لا ينجو من أخطار كبيرة، ومتى يكشف الحقيقة؟ يكشفها بعد فوات الأوان، ويكشفها ولم تبق له الحقيقة ثانية واحدة من حياته ليستفيد منها.

لذلك لو رأيت الذين يموتون وهم على المعاصي، لعرفت أنّ فيهم من الألم الذي يعتصر قلوبهم الشيء الكثير، ويقول: لم يخبرني أحد، ولم يعلمني أحد، والآن لو علمته علماً عادياً نقلت له خبرة الأجيال فالآن توجد أجيالٌ بكاملها ضالّة، فخبرات الأجنب، خبرات كلّها مادّية، قيمهم مادّية، قيمهم أساسها القوي يأكل الضعيف، يحاسبون أنفسهم ضمن بلادهم حساباً دقيقاً جداً ويسمحون لأنفسهم أن ينهبوا حقوق الشعوب كما قال الشاعر:

قَتَلَ امرئ في غابَةِ جريمَةٍ لا تَغفَرُ وقَتَلَ شعبٍ آمنٍ مسألةً فيها نظر

\*\*\*

أي يبنون أمجادهم على أنقاض الشعوب، هذه هي التربية الغربية، القوي يأكل الضعيف، الذكي يستغلّ الغني، الغني يستغلّ الفقير، الأقوى هو الذي ينتصر، هذا أساساً مجتمع الغاية.

### ربية الأولاد التربيّة الإسلاميّة أساسها الوحي و تعليمات الصانع:

نحن لا نسمح لأبنائنا أن يتعلّموا ذاتياً لأنّهم ربّما عرفوا الحقيقة بعد أن يدمّروا، كما أنّنا لا نسمح أن نعلّمهم التعليم العاديّ هذا التعليم مبني على أسس غير صحيحة، مبني على تجارب لا على حقائق، مبني

على اتجاهات علمانية، اتجاهات دنيوية، ليس مبنياً على حقيقة من عند خالق الكون، لذلك تربية الأولاد التربوية الإسلامية أساسها الوحي، أساسها تعليمات الصانع، شيء دقيق جداً.

أنت عندما يكون لديك جهاز معقد جداً لا يمكن أن تسأل إنساناً عادياً مع احترامي لكلّ المهن، فلو عندك جار بائع للخضار وهو على مستوى من الأخلاق العالية وخلق، فهل تسأله عن كيفية عمل هذا الجهاز؟ لا، فإنك لا تترتاح إلا للصانع، إلا إذا كان يوجد مندوبٌ للشركة وزارك في المكتب وأعطاك التعليمات أو قرأت التعليمات.

أنت بالتربية الإسلامية بحاجة إلى الوحي الذي جاء به النبيّ عليه الصلاة والسلام وهو الذي بيّن، ومرّة ثانية أقول لكم: قد لا تتوقعون أنّ في الإسلام منهجاً للتربية كاملاً، والله الذي لا إله إلا هو لو أمكن للآباء أن يتزوّدوا بخصائص التربية الإسلامية، وتوجيهات النبيّ عليه الصلاة والسلام وأن يلتفتوها أبناءهم لكان مجتمع المسلمين في وضعٍ آخر غير هذا الوضع.

الشباب مثل العجينة، فإن لم يتواجد أب عالم، ولا أم مؤمنة إيماناً عالياً، ولا مجتمع مثقف ثقافة دينية تجده يتحرّك حركة عشوائية.

الآن ندخل في صميم الدرس، من مهمّة المربي أو الأب أو المعلم أن يلقّن، أحياناً الأب ينزعج من ابنه، ويقول: ابني غير مؤدب، فهل أنت قد علمته، هل بيّنت له حقّ الأب، وبيّنت له ماذا ينبغي أن يفعل، وبيّنت له ماذا ينبغي أن يقول؟ لم تبين له، لذلك قالوا: " لا معصية بلا تكليف"، هذه قاعدة ثمينة، لهذا الجامع ثلاثة أبواب، فإذا لم تجد تكليف ولا بيان ترى شخصاً قد خرج من هذا الباب وآخر من الباب الثاني والثالث من الباب الثالث، فلا يجوز أن نتهم إنساناً قد خرج من هنا بأنه عاصٍ، فلا يوجد تعليمات، ولا توجيهات، ولا أمر أو نهي، ولكن لو كتبنا لوحة صغيرة فيها: يرجى الخروج من هذا الباب، فلو أن شخصاً خرج باب آخر يكون قد خالف التعليمات بذلك، لا معصية من دون تكليف.

#### أحاديث من السنة الشريفة عن احترام الوالدين:

ابنك لم تعلّمه، وفي المدرسة لم يعلموه، والمجتمع غير مهذب، ورفاقه غير مهذبين، وهو قد وقف منك موقفاً غير أخلاقي فأنت انزعجت وغضبت، ولكنك لم تعلّمه، ولم تقل له: يا بنيّ هذا لا يصح، و دليلاً على ذلك الحديث الشريف، فقد رأى النبيّ الكريم شخصاً يمشي أمام رجل مسن فقال له: من هذا الذي معك؟ قال له: هو أبي، فقال له:

**(( لا تمش أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له ))**

[ابن السنّي عن أبي هريرة]

بذلك قد انتهى الأمر، أعطى التوجيهات والآن أصبح معه قوة، فإذا مشى شخص أمام أبيه فقد أساء، أو أمام أستاذه فقد أساء، أحياناً يُحرج الإنسان فيمشي متقدماً عليك خطوة، فامش بجواري أو متأخراً عني ولو قليلاً، بخمسة سنتيمترات، وهو يتكلم ويشاور بيديه، انتظر قليلاً، فلا بد للإنسان من أن يعلم ابنه. أولاً أيها الأخوة، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

**(( ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً، إلا فتح الله له بابين، يعني الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضيا عنه. قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه. ))**

[البخاري عن ابن عباس]

أي ظملاً خفيفاً، فأحياناً يكون الأب عصبياً قليلاً، أو متضايقاً من عمله، فيتكلم كلمة قاسية مع ابنه، ويوجد بعض الأبناء لا يتحملون ذلك وتجده يردّ بأقسى الكلام وعلى الفور، هذا أبوك ويوجد فارق كبير في السن، وربما كان يعاني مشكلة ما، أو قد يكون ذا مزاج عصبي، وقد يكون عنده في العمل مشكلة وجاء إلى البيت وأصابه تالفة وتكلم كلمة قاسية يجب أن تصبر وإن ظلمك.

انظر لو كان الابن قد فهم هذا الحديث، ودخل الأب للبيت وتكلم بكلمة قاسية والابن لم يتكلم وردّ عليه وقال: سامحك الله يا أبي فأنا لم أفعل شيئاً، وبأدب، أحياناً أجد الابن يثور على أبيه إذا أخطأ، والأب يخطئ فهو غير معصوم، لكن فارق السن ينبغي أن يجعل له ميزة، وكذلك الفضل الذي صدر منه سابقاً. أنا سبحان الله كلما سمعت عن أب يرضي ابنه رعاية كاملة، أقول: سبحان من أودع محبة الأبناء في قلوب الآباء، تجد ابناً من الدرجة الخامسة بل العاشرة لا يوجد عنده أدب أو وفاء ومع ذلك فكل حياة الأب منوطة بهذا الابن، فسبحان الله لا تجد إنساناً إلا وهو يغار من إنسان آخر، فالغيرة من جبلة الإنسان إلا الأب مع ابنه، فمهما علا شأن الابن تجد الأب مفتخراً به ولا يشعر بغضاضة أبداً، لذلك:

**(( ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً، إلا فتح الله له بابين، يعني الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضيا عنه. ))**

[البخاري عن ابن عباس]

**الأب والأم هما أصل وجودك وسبب وجودك كما أنّ الربّ يُعبد فالأب والأم يُحسّن إليهما:**

أنا والله أيها الأخوة أرى من خلال تجاربي المتواضعة أنّ أناساً كثير موفّقون في حياتهم توفيقاً عجبياً وسرّاً ذلك برّهم لأبائهم وأمهاتهم، ويعبّر العوام عن ذلك بقولهم: يده خضراء، أي كيفما تحرك فهو موفّق، ومحفوظ، وهناك من يدافع عنه، والسبب برّه بأمه وأبيه، والسبب لأنّ الأب والأم هم أصل وجودك وسبب وجودك، فلك خالقٌ خلقك عن طريق الأب والأم، فكما أنّ الربّ يُعبد فالأب والأم يُحسّن

إليهما.

أقول لكم دائماً: إنَّ العطف يقتضي المشاركة، فعندما يعطف الإنسان شيئاً على شيء مع التناسب، فربُّنا قد قال:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 23 " )

أي جمع الإحسان إلى الوالدين مع عبادة الله عزَّ وجلَّ، وكلُّكم يعلم أنَّ الأب الشاب إرضاءه سهلٌ جداً، فهو أبُّ شاب وواعٍ ومنطقي وواقعي، ويعرف أنَّ ابنه في طور البناء، فلا يكلفه فوق طاقته، لكنَّ البطولة في الأب الكبير فقد قال تعالى:

﴿ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا (23) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 23 " )

أبُّ متقدِّم في السن ويسكن عندك بالبيت، كنت عنده فأصبح عندك، كنت إن سئلت من عندك تقول: ابني الأول والثاني، أما إذا سألت ابنه الكبير من عندك؟ فيقول: عندي أبي، قد كنت عنده فأصبح عندك، هكذا الحياة، كان الأب شاباً وقوياً وأولاده صغاراً ويلعبون في البيت، فأصبح الأب ضيفاً عند ابنه فقد قال تعالى:

﴿ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 23 " )

### البطولة بإرضاء والدين لست معهما في خندق واحد:

أنا أعجب سبحانه الله بأنَّ باب الجنة مفتوح، فالأب باب للجنة، الأم باب للجنة، أن تأخذ بيد زوجتك إلى الله باب للجنة، أن تربي أولادك باب للجنة، أن تحسن إلى جيرانك باب للجنة، أن تتقن عملك باب للجنة، أن تدعو إلى الله باب للجنة، أن تعلم القرآن باب إلى الجنة، أبواب الجنة مفتحة على مصارعها.

أحياناً يقول لي أحدهم إنَّ الأسواق واقفة كلُّها وكاسدة، فأقول له: لكن سوق الدعوة حامٍ كثيراً ورائج، فسبحان الله أحياناً تذهب لبلدٍ تجد فيه غنىً والأمور كلُّها ميسرة، ولكن بقدر هذا التيسير وتوافر الحاجات ورخص الأسعار وتوافر الأموال بأيدي الناس، كلُّما رأيت الحاجات موقرة والبيوت والأعمال والبضائع موقرة وكلَّ شيء ميسر هذه الدنيا العريضة ربِّما كانت حجاباً بين الناس وربِّهم.

تجد في بلاد النفط الدعوة غير رائجة، يقول لك: لا تجد خطيباً أو عالماً، فكُلُّهم يستوردونه استيراداً في شهر رمضان، لا تجد منهم من يهتم بالعلم، مال وبيع وتجارة وشراء، وتجد بلاداً فيها من صعوبات

الحياة الكثير ومن الأزمات، وتجد الناس ملتفتين إلى الله عزَّ وجلَّ، مرَّةً قلت: الدنيا حجابٌ بين الناس وربِّهم، والمشكلات أحياناً دافعٌ إلى الله.

الحديث الثاني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

### **(( رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين. ))**

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

عملٌ عظيمٌ أن تكون باراً بأمِّك وأبيك، مرَّةً ثانيةً أقول لكم الأب المنطقي سهلٌ إرضاءه، أعباؤه خفيفةٌ وظلُّه خفيفٌ، وبطولتك مع أب أنت بوادٍ وهو بوادٍ آخر، أنت في جهة وهو في جهة، أو أمَّ أنت في جهة وهي في جهة، فلا يوجد شيءٌ يجمع بينكما هي على أساس معيَّن فتقول لك: هكذا تربيتنا يا ابني وهكذا أهلنا علمونا، وأنت تتلقى العلم من المسجد وتعرف السنَّة والكتاب، فأحياناً تحدث المصادمات بينكما، فبطولتك بإرضاء والدين لست معهما في خندقٍ واحد.

### **بِرُّ الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله:**

الآن يوجد لدينا أربعة أحاديث، وأغلب الظن أنكم تعرفونها ولكن شيء خطير جداً:

**(( قال رجل للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أجاهد. قال النبي له: ألك أبوان؟ قال: نعم. قال: فيهما**

**فجاهد))**

[البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما]

هذا الكلام لا يحتمل معنى آخر أي برُّ الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله، والآن أوجّه كلمةً لأخواتنا المؤمنات النبيِّ الكريم قال أيضاً:

**((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحدانك لزوجها وطلبها**

**مرضاته وإتباعها موافقته يعدل ذلك كله - أي يعدل الجهاد في سبيل الله -))**

[ابن عساکر والبيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

أي أمٌ قاعدة على بيت أولادها، تهيبُّ لهم الطعام، وتنظف الملابس، وتنظف البيت، وتنتظر زوجها، وترتدي أحسن ثيابها أمامه، وتلبّي حاجاته وحاجات أولادها هذه الأم كالمجاهدة في سبيل الله، لو يعلم النساء - يعلمن علم اليقين - أنّ حسن التبعل يعدل الجهاد في سبيل الله لكانت بيوت المسلمين في وضعٍ غير هذا الوضع.

روى أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهم السلمي، أنّ جاهم رضي الله عنه أتى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

## (( يا رسول الله أردت الغزو وجنت أستشيرك، فقال: هل لك من أم ؟ قال: نعم قال: الزمها فإن الجنة عند رجليها. ))

[أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهم السلمي]

### بعض الصور عن بر الوالدين:

حدّثني أخ عن قصّة لفتت نظره فقال لي: يوجد أب عاديّ جداً - أحياناً تجد آباء عندهم رحمة وعلم وغنى وعطف على أولادهم، ويوجد آباء يقولون لأبنائهم: يا بني أنا نشأت عصامياً فكن مثلي - هذا الأب عادي جداً بل أقل من العادي له أولادٌ من الدرجة الخامسة وليسوا من الدرجة الثانية، مرض هذا الأب فجأةً مرضاً عضالاً أوقعه في الفراش فاندفع أولاده إلى خدمته اندفاعاً لا يمكن تفسيره - أحياناً يكون الأب في درجةٍ عاليةٍ جداً من العطاء، يستحق إكراماً منقطع النظير، وأحياناً يكون الأب عادياً لكن أولاده طلاب علم ويسلكون طريق الإيمان، يندفعون إلى برّ أبيهم برّاً عجبياً - لكن يقول لي صديقي: لا الأب يستحق هذه المعاملة لأنّه أقلّ من عادي، ولا الأولاد تلقوا علماً دينياً ولا عرفوا بالبرّ سابقاً، فتوجد بينهم وبين أبيهم مشكلات، والشيء الذي لا يفسر أنّ هذا الأب الأقل من العادي وهؤلاء الأولاد الأقل من العاديين فجأةً اندفعوا إلى خدمة أبيهم اندفاعاً لا يصدّق، وظلّوا يخدمونه ليلاً نهاراً، صباحاً ومساءً أعلى خدمة، ويقول لي هذا الصديق لو أنّ الأب من الآباء النادرين في إحسانهم لأبنائهم، يصبح هذا الموقف معقولاً منهم، لو أنّ الأبناء طلبوا العلم ولهم اتجاه ديني عميق جداً فالأمر مفهوم، لكن لا الأب في هذا المستوى الراقي ولا الأبناء في هذا المستوى الراقي، فما الذي دفع الأبناء إلى خدمة هذا الأب الخدمة التي تفوق حدّ الخيال ؟ يقول لي هذا الصديق: بعد عامٍ وأكثر كان يجلس مع والدته وهو يعجب من هذه الأسرة التي ظهرت فيها هذه الظاهرة - أنا لي قريبة أصابها مرض عضال ففي أول يوم خدموها أحسن خدمة، وكلّ يوم تتبدّل الشراشف كلّها، وبناتها يتناوبن في النوم عندها، وإذا قالت كلمة تقف البنت أمامها، هذه المعاملة في خلال أسبوعين أو ثلاثة، وبعد ذلك لو نادت عليهنّ ليلاً فلا أحد يرُدّ عليها، وقد استمرت في هذه الحالة عدّة سنوات، وآخر سنة مستوى الخدمة تدنّى وهبط هبوطاً مفاجئاً، لذلك أنا أتمتنى من الله عزّ وجلّ أن لا يقعد عن الحركة كلّ مؤمن في آخر عمره، لأنّ الإنسان لو مات وهو خفيف الظل يبقى له أثر طيّب، والنبويّ كان يدعو والسلف الصالح كذلك كانوا يدعون بهذا الدعاء يا ربّ سنّة رسول الله، ثلاثة أيّام وكفى، فالأجل أجل لا يتغيّر - هذا الصديق الذي كان يعجب من خدمة الأبناء لأبيهم علم أخيراً أنّ هذا الأب كان أحد خمسة أولاد لأبيه المتوقّى وأربعة من إخوته استنكفوا عن خدمة أبيهم عندما أصابه مرضٌ عضالٌ إلا هذا الابن، الأب المريض في هذه القصّة، نهض وخدم آباءه خدمة تامّةً فانه عزّ وجلّ أكرمه حينما وقع في الفراش، بأن ألقى في قلوب أولاده الحرص الشديد على خدمة أبيهم.

قال لي أحد أخواننا الكرام: أب عنده خمسة أولاد وله إبهام قد اسودّ، أصيب بالغرغرينا، فالطبيب قال: لا بدّ من قطع هذا الإبهام. والأولاد قالوا: سبحان الله ماذا نفعل هذه إرادة الله، لكن لهم أخ برّه بأبيه شديد فأظهر ألمه الشديد للطبيب وقال له: ليس من المعقول أن نقطع الإبهام، فتعجّب منه الطبيب وقال: هذا شيء لا بدّ منه فإذا اليوم لم نقطعه من بدايته سنقطعه غداً من نهايته، ولكن بسبب تألم هذا الابن تألماً شديداً احترم الطبيب تألمه وقال له: يا بني يوجد احتمال ضئيل وقليل جداً ولكنّه يحتاج إلى جهد كبير، فهذا الإبهام يحتاج يومياً إلى ثلاثة حمّات بماء ساخن وبمواد معيّنة، والاحتمال لتراجع هذا المرض عشرة بالمئة، أمّا لو تقدّم المرض ولو شيئاً ضئيلاً، واحد ميلي متراً، سوف أقطع هذا الإبهام، فقال له الابن: أنا حاضر، والابن موظّف يخرج من منطقة المزرعة، ويسكن أبوه في الجادة الخامسة بالمصطبة حي المهاجرين، يذهب في الساعة السادسة صباحاً ويقوم بعمل حمام لإبهام والده، وكذلك ظهرأ مع المواد الطبيّة والشاش، وفي المساء حمام ثالث، وقد روى لي هذه القصة أحد أخواننا الكرام عن أقربائه، وقد بقي هذا الابن في خدمة أبيه ستّة أشهر بالتمام والكمال إلى أن تراجع الاسوداد وشفاه الله شفاءً تاماً، يقول لي هذا الأخ الكريم: هم خمسة إخوة وكلّهم من ذوي الدخل المحدود، وظلّ هؤلاء الأربعة على دخلهم المحدود، والخامس أكرمه الله إكراماً ووقفه توفيقاً كبيراً وأصبح الآن رصيده المالي أكثر من منتي مليون ليرة، سبحان الله هذه أجرة الإبهام أخذها بالدنيا قبل الآخرة.

### 1- رضا الله في رضاهما:

مفاد كلامي برّ الوالدين شيء لا يصدّق، فانه عزّ وجلّ يكرم البار بوالديه إكراماً شديداً، وهناك آلاف القصص لذلك كما يقولون: يا رضا الله ورضا الوالدين. لي ملاحظة دقيقة فبعض الشباب يقنع بهذا الكلام فيبادر إلى إرضاء أمه وأبيه ويتقاعس عن إرضاء ربّه، الله هو الأصل، لذلك برّ الوالدين لا يقبل إذا كان بعيداً عن إرضاء الله عزّ وجلّ.

### 2- برّهما مقدّم على الجهاد في سبيل الله:

(( أقبل رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد وأبتغي الأجر من الله. قال: هل من والدك أحد حي ؟ قال: بل كلاهما. قال: أفتبتغي الأجر من الله ؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والدك فأحسن صحبتهما ))

[رواه مسلمٌ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما]

هذا المعنى الأول: رضا الله في رضاهما، الثاني: برّهما مقدّم على الجهاد في سبيل الله.

### 3- من البرّ الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما:

من البرّ الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما امتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ:

﴿ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا (24) ﴾

(سورة الإسراء: آية " 24 " )

بعض واجبات الأبناء تجاه آبائهم:

روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

**(( ترفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي ربي أي شيء هذا ؟ فيقول له: ولدك الذي استغفر لك.))**

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

الميت في قبره ترفع درجته بسبب استغفار أبنائه له.

سأل أحد الصحابة النبي فقال:

**(( يا رسول الله، هل بقي علي من برّ والدي شيء من بعدهما أبرهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما.))**

[أبو داود وابن ماجه عن أبي أسيد الساعدي]

الصلاة عليهما: صلاة الجنازة، والاستغفار لهما: في كل يوم خمس مرات في الصلاة، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، هذه أيضاً من واجبات الأبناء تجاه آبائهم. يروى أنّ عبد الله بن عمر لقيه رجلٌ بطريق مكة، فسلم عليه، عبد الله صحابي جليل، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه، قال ابن دينار قلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله بن عمر: إنّ أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطّاب، وإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:

**(( إنّ أبرّ البرّ صلة الولد أهل ودّ أبيه.))**

[مسلم عن عبد الله بن عمر]

أحياناً إذا كان شخصٌ له علاقة بوالدي أينما كان ذاهباً أوصله، وأشعر بذلك شعوراً خاصاً، هذا له حقٌ عليك، وجاء في مجمع الزوائد عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال:

**(( من البرّ أن تصل صديق أبيك ))**

[مجمع الزوائد عن أنس]

كلّكم يعلم أيضاً أنّ الأم مقدّمة بالبرّ على الأب:



عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل ومعه شيخ، فقال له النبي: يا هذا من هذا الذي معك؟ قال: أبي، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(( لا تمش أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له. ))**

[ابن السني عن أبي هريرة]

أي لا تسبب لأبيك السباب عن طريق العمل السيئ.

قال صاحب عيون الأخبار: " قيل لعمر بن زيد: كيف برُّ ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهراً قط إلا وهو خلفي، ولا مشيت ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى سقفاً وأنا تحته ".  
في النهار يمشي خلفي، وفي الليل يمشي أمامي، توقّعاً للخطر.

### أنواع عقوق الوالدين:

أيها الأخوة من العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه، يريد أن يأخذ الميزات كلها، من العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحي أن يعرف بأبيه.

أحياناً الابن يتفوق، يصبح دكتوراً مثلاً أو ذا منصب رفيع جداً ويكون والده عنده بالمكتب، فأحد الأشخاص له ابن وصل لمنصب رفيع جداً وهناك أحد أخواننا له حاجة عند صاحب هذا المنصب، قلت له: إن أباه من أخواننا فقلت للأب: أريد أن أتكلّم مع ابنك لنقل طالب من جامعة إلى جامعة، فقال لي: لا مانع من ذلك، ولكنني رأيتُه متلكنّاً، دخلنا على ابنه والغرفة ممتلئة بالمراجعين، فقال لأبيه: أبا فلان اقعد هناك، لم يشعر أحداً أنّه أبوه، وهو شخص مرموق، أنيق في لبسه، وبهيّ الطلعة لا يستحي بمثله، فلما خرجنا سألتُه: أين درس؟ فقال لي: بأمریکا معه بورد، فقلت له: على حساب من؟ فقال لي: والله على حسابي.

على حساب الأب الشخصي، وهذا الابن استحيا أن يشعر أحداً في الغرفة أنّ هذا أبوه هذا من عقوق الوالدين، أن يستحي الابن ذو المنصب المرموق أن يعرّف الناس بأبيه.

في قلعة دمشق قبل خمسين سنة، وبصدفة غريبة جداً، أب برتبة مساعد في الجيش والابن نقيب، وعلى هذا المساعد حسب النظام العسكري أن يقدّم الصّف لابنه، فكان هذا الابن بعد أن يُقدّم الصّف له من قبل أبيه يأتي أمام ستمئة جندي ويقبل يد أبيه أمام كلّ هؤلاء، إشعاراً بقيمة الأب، الابن مهما كان بمرتبة عالية إذا بالغ في احترام أبيه فهذا لا ينقص من قدره بل يرفع من قدره، فهذا من العقوق.

من العقوق ألا يقوم الولد بحقّ النفقة على أبويه الفقيرين فيضطرّوا إلى إقامة الدعوى عليه ليُلزّمه القاضي بالإنفاق عليهما، هذا عقوق، لو لم يقيموا دعوى فقد يكون الابن في بحبوحة والأبوان يعانيان، فكل ابن يرفع مستوى معيشتة عن مستوى والديه وقع في عقوق الوالدين.

أما أكبر أنواع العقوق أن يتأفف الولد من أبيه وأن يتضجرّ منهما، ويعلو صوته عليهما، وهناك من يقرّع أبيه بكلماتٍ مؤذيةٍ جارحةٍ ويجلب الإهانة لهما والمسبّة لشخصهما، هذا منتهى العقوق، أن تتكلم كلمة قاسية أو تأخذ موقفاً قاسياً، وأقلّ من ذلك أن تحجم عن الإنفاق على والديك، والأقل أن تستحي من أبيك أو أمك، والأقل من ذلك أن ترى نفسك مساوياً لهما، هذه كلّها من العقوق.

النبّي الكريم يقول:

**(( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا: بلى. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكناً فجلس قال: ألا وقول الزور والعمل به. ))**

[متفق عليه عن أبي بكر]

هذه ليست كبائر، بل أكبر الكبائر.

**كلّ الذنوب قد تؤخّر إلى يوم القيامة إلا ذنب العقوق فيعجل الله لصاحبه في الدنيا:**

ثلاثة حرّم الله عليهم الجنّة: مدمن خمرٍ، والعاق لوالديه، والديوث.

الديوث هو الذي لا يغار على عرضه، أو يرضى الفاحشة في أهله.

**(( من الكبائر شتم الرجل والديه، أحد الصحابة قال يا رسول الله: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمّه فيسبُّ أمّه. ))**

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

أما النقطة الدقيقة إنّ كلّ الذنوب قد تؤخّر إلى يوم القيامة إلا ذنب العقوق فيعجل الله لصاحبه في الدنيا، لذلك فيأياكم أن تتعاملوا مع عاق للوالدين، لو كان فيه خير لكان خيره لوالديه، ليس فيه خير أبداً، وهذا العاق لوالديه معرّض لنقمة الله في الدنيا، فإذا شاركه أحد أو تعامل معه فالخسارة كبيرة جداً، فشارك من يكون باراً بوالديه، وصاحب من يكون باراً بوالديه، لذلك كلّ الذنوب يؤخّر الله ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنّ الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات.

نلخص هذا الدرس بأنّ من برّ الوالدين أن لا تستسبّ لهما، وأن ترحمهما، وأن تعطف عليهما، وأن تعظمهما، وأن تصل الرحم التي لم تكن لها صلة إلا بهما، وأن لا تمشي قبلهما، وأن لا تمشي أمامهما، وأن لا تقعد قبلهما، وأن تكون في خدمتهما، لأنّ هذا جزءٌ يسير من فضلها عليك، وبالطبع إذا عرف الأب قيمة أبيه عليه أن يعرف ابنه بقيمة أبيه أيضاً، فلا معصية من دون تكليف، فأنت أظهر لأولادك حقوق الأب عليهم وبعدها حاسبهم في التربية عمل عظيم والحمد لله ربّ العالمين.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعنا على دوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وارزقنا الشوق إلى لقائك ولذّة النظر إلى وجهك الكريم، اللهم أرنا الحقّ

حَقّاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه،  
أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.